# (1)

## ما بين.. ريا وسكينة وبني هزار

## البداية في بني مزار كانت...

**10** قتلي في مذبحة مروعة وغامضة في بني مزار الجناة اقتحموا منازل الضحايا ليلاً وهربوا دون أن يشعر بهم أحد

هكذا كان عنوان الخبر في صحيفة الأهرام عدد 30 ديسمبر 2005بعده استطرد المحرر قائلاً:

(شهدت الساعات الأخيرة من هذا العام مذبحة مروعة جرت وقائعها داخل عزبة شمس الدين التابعة لمركز بني مزار في محافظه المنيا، عندما عثر الأهالي في ساعة مبكرة من صباح أمس على عشر جثث لثلاث أسر مختلفة مقتولين داخل منازلهم المتقاربة وغير المتلاصقة بشارع واحد ومن بينهم4 أطفال وثلاث سيدات).

وفي عرض تفصيلي للخبر أوردت الصحيفة أن قد أشارت المعلومات الأمنية إلى أن جناه مجهولين اقتحموا منازل الضحايا خلال الليل، وفي سكونه نفذوا المجزرة بطريقة وحشية باستخدام آلات حادة وأجهزوا على جميع من وجدوهم بالمنازل الثلاثة ومن بينهم رضيعة لم تتعد عامها الأول عثر الأهالي بالمنزل الأول على أسره

مكونة من الزوج والزوجة وطفليهما10 و8 سنوات، وبالمنزل الثاني على جثه محام شاب ووالدته العجوز، وفي المنزل الثالث على جثث مدرس شاب وزوجته وطفليهما3 سنوات وعام واحد. انتقل للقرية فريق من أعضاء نيابات المنيا لإجراء المعاينات لمسرح المذبحة، والتحفظ على آثار الجريمة أكدت المعاينة تشابه طريقه القتل لأفراد الأسر الثلاث والتمثيل بهم وانتزاع بعض أعضاء الضحايا في مشهد بشع، مما يرجح أن يكون الدافع هو الانتقام الرهيب مع عدم استبعاد الدوافع الجنائية الأخرى، في الوقت الذي أكدت فيه مصادر أمنيه عدم وجود دوافع سياسية وراء الجريمة.

في اليوم التالي تحت عنوان نشرت الأهرام ـ السبت 31 ديسمبر 2005 ـ الصفحة الأولى: تحت عنوان كشف لغز مذبحه بني مزار ـ الجاني مريض نفسيًا ارتكب المجزرة بصوره هستيرية (توصلت أجهزه الأمن إلى معلومات محددة ودقيقة من شأنها كشف الغموض الذي أحاط بمذبحه عزبة شمس الدين ببني مزار بالمنيا)، وأشارت المعلومات التي حصل عليها المحرر القضائي للأهرام إلى أن مرتكب المجزرة شخص مريض نفسيا، وهو من سكان البلدة، وأقدم على جريمته الوحشية بدوافع هيستيرية في تنفيذ الجريمة، والتمثيل بجثث الضحايا العشرة، خاصة الأطفال منهم بطريقه بشعة، واستئصال أعضائهم وأخذها معه.

ثالث وصف.. أكثر جرائم بشاعة..
مذبحة بني مزار بين عامين..!
محمد ممدوح

ومن المنتظر أن تعلن وزارة الداخلية خلال الساعات المقبلة تفاصيل المذبحة وسيناريو تنفيذها، وفقًا لاعترافات الجاني التفصيلية، بعد جمع الأدلة والقرائن المؤكدة على ارتكابه للجريمة وكانت عمليات الفحص الفني للطب الشرعي والمعمل الجنائي لآثار المذبحة وتشريح جثث الضحايا قد أكدت وحدة الأداة المستخدمة في الجريمة البشعة وتماثل طريقه القتل والإصابات التي لحقت بالقتلى وتماثل أسلوب دخول المنازل الثلاثة للضحايا الذين تم اختيارهم بطريقه عشوائية إجرامية.

كما أشارت المعاينات إلى أن السفاح باغت الضحايا أثناء نومهم، ولم يكن أمامهم فرصه للاستغاثة أو السيطرة على القاتل المتوحش الذي راح يمثل بجثث قتلاه بطريقة عبثية وحشية، حيث تبين ذبح جميع الضحايا من الرقبة باستخدام آلة حادة بطريقة واحدة وشق بطونهم بالأداة نفسها، ثم الضرب بعنف على مؤخرة الرأس من خلال سنجة أو ساطور، (اتضح بعدئذ أنه ساطور) فضلاً عن استئصال أعضاء الذكورة بطريقه متماثلة، والعبث بالأعضاء التناسلية للسيدات.

كانت أجهزه الأمن في إطار بحثها المكثف عن الجاني وكشف لغز المذبحة قد استجوبت عدداً كبيراً من أهالي البلدة وأقارب الضحايا للوصول إلى المجرم، ومن خلال جمع الأدلة والمعلومات تم التوصل

ـكما أوردت الصحيفة ـ إلى تحديد شخصية مرتكب المجزرة، كما أوضحت المعلومات عدم وجود عنف في اقتحام القاتل لمنازل ضحاياه، بل دخل بطريقة عادية مما يرجح أنه شخص معروف للقتلى، وقد سادت حاله من الذعر والرعب سكان البلدة حتى أن بعضهم لم يبت ليلته في منازلهم خوفًا من تعرضهم لمذبحة جديدة.

ثم أفاد محمد شمروخ محرر الأهرام في نفس العدد أنه (قبل مرور يومين على وقوع مذبحة بني مزار البشعة.. كشفت أجهزة الأمن الغموض الذي أحاط بالجريمة حيث توصلت لمعلومات تفيد بأن الجاني (مُختل عقليًا) ومن أبناء القرية وأنه ارتكب المذبحة بدوافع هستيرية.

وكانت قرية شمس الدين بالمنيا قد فوجئت بتفاصيل المذبحة المروعة.

شكلت تفاصيل الجريمة الدامية خيوطا متشابكة من الألغاز حيرت الجميع حول الدافع وراء ارتكابها بالتزامن في التوقيت بل وبنفس التفاصيل. ورجحت المعلومات الأولية أن يكون الانتقام هو الدافع وراء المذبحة، ولكن بوجود (صحيفة الأهرام) على الأرض التي شهدت أحداث المجزرة كانت هناك تكهنات قوية سادت أجواء القرية في أن يكون مرتكب المذبحة مريضًا نفسيا أو مختلا عقليًا وهذا ما أكدته المعلومات فيما بعد.

عزبة شمس الدين تبعد عن مدينة بني مزار شمال مدينة المنيا ما يقرب من خمسة كيلو مترات لها نفس معالم القرية المصرية التقليدية حيث المنازل الريفية المتلاصقة والشوارع الضيقة والمزارع المترامية، أما عن الشارع الذي شهد الفاجعة فهو يبدو واسعا نسبيا يسمى (داير الناحية) ويطلقون عليه أحيانا شارع الجسر.

وبطبيعة الحال ليس للمنازل أرقام، وعند منتصف الشارع تقريبا يقع أول المنازل المنكوبة وهو منزل المزارع سيد محمود عبده، وهو مكون من طابقين ويتخذ شكل الطراز الريفي القديم، وداخله دارت أولى حلقات المذبحة ، فقبل دقائق من الحادث كان يرقد صاحبه وبجواره زوجته صباح على عبد الوهاب وغير بعيد عنهما طفلهما أحمد 8 سنوات وفاطمة 7 سنوات، والوضع الذي عثر فيه على الجثث الأربع يشير إلى أن الجاني قد اغتال أرواحهم وهم نيام هكذا استطرد محرر الأهرام. ونترك منزلين وندخل المنزل الذي يليهما لنجد تفاصيل الجريمة الثانية التي راح ضحيتها المحامي الشاب طه عبد الحميد محمد 28 سنة ووالدته وفي الغالب كانا أيضًا خالدين في النوم وقت ارتكاب الحادث حتى أن بقع دمائهما تناثرت على الوسائد والأرض وتركها الجاني ليختتم جرائمه البشعة في منزل غير بعيد عن المنزلين السابقين على الجانب الآخر من الشارع مستخدما نفس الأداة والأسلوب السابقين في قتل صاحب المنزل وهو المدرس يحيي أحمد أبو بكر البالغ من العمر (48 عاما) وزوجته بثينة على محمد (35 سنة)

وطفلتهما أسماء ذات العشرة أعوام وكذلك الطفل الرضيع محمود الذي لم يكمل شهوره الثلاثة كتم أنفاسه وذبحه بنفس الطريقة القتلى العشرة ذبحوا باستخدام السكاكين وكان أسلوب الذبح من الرقبة بجرح قطعي ممتد يبدأ من منتصف الرقبة ويمتد إلى أسفل الأذن. وبنفس الطريقة لكل الضحايا العشر ثم انتزع الجاني الأعضاء التناسلية للقتلى حتى الأطفال. قام الجاني بذبح بعض من طيور الحمام وألقاها بجوار الجثث لتختلط دماؤها بدماء الضحايا. كان البحث أمام رجال المباحث لغز التوصل إلى دوافع الجريمة، فلم توجد وقتها أية دلائل تشير إلى تلك الدوافع، فلا هي للسرقة ولا خلافات بين الضحايا وبين أي أحد، بل لا يوجد أي عامل مشترك بين المجني عليهم سوي أنهم أبناء قرية واحدة وشارع واحد كما أكدت المصادر. وأكدت أنه كان معروفًا عن أهل القرية الوداعة ولم توجد بينهم صراعات ثأرية من أي نوع انتشرت الشائعات عن الكنز المفقود بالعزبة وكان الناس يتحدثون عن مشعوذ يزعم تحضير الجان وأنه يستطيع إخراج الكنوز من منازل الفلاحين وتردد على منازلهم بعد أن انتشرت بالعزبة ظاهرة البحث عن الكنوز الوهمية منذ فترة طويلة، يقال لأن المشعوذين كانوا يستخدمون الأطفال المذعورين في طقوسهم الشيطانية كما يستخدمون الطيور المذبوحة في إجراء أعمال الدجل والشعوذة ولذلك تلاحقت جهود البحث في جميع الاتجاهات لكشف أبعاد الجريمة.

وفي هذا الإطار كتب ياسر عبد الحافظ[1]، تحت عنوان (مذبحة بني مزار والسقوط في فخ الأسطورة)، هناك حكايات تروي وقصص أسطورية يتم إضافة تفصيلة جديدة لها كل يوم، لقد كشف هذا الحادث عن أن نمط التفكير العام أصبح يتجه بشكل تلقائي ناحية الغيبي والغامض، أن هناك قوى خفية أكبر من قدراتنا تتحكم بمصائرنا. . . اتجاه لم يعد قاصراً على فئة بعينها وهذا هو ما يسترعي الانتباه، أن تخرج الجرائد لتحاول تهدئة مخاوف الناس وإثبات أن الجن لا يستطيع الصعود فوق الأرض فهذا معناه أننا نرتد دون أن ندري إلى مرحلة بعيدة هجرها التاريخ الإنساني. .

وأن أحد أصدقائه الأقصريين قال له (ألم تسمع عن لعنة الفراعنة؟ قلت طبعًا لكني لست مقتنعا بها. . . لا أصدقها. . . مجرد خرافة بنظري، ابتسم صديقي بسخرية عميقة وكان ذلك مستفزاً لي إلى حد كبير فأن يسخر منك شخص لأنك لا تعرف معلومة علمية فهذا سهل لأنك تستطيع ببساطة معرفة ما يتحدث عنه من خلال كتاب أو من خلال الإنترنت وساعتها يمكنك أن ترد إليه سخريته لأنه فاتته معلومة ما، أما أن يدعي شخص أن هناك أشياء أخرى في عالمنا لا يمكن معرفتها إلا عن طريق السحر والرموز فهذا هو الصعب أو المخيف.

(1) أخبار الأدب 15 – 1 – 2006م.

(قال صديقي هايحكيلك قصة أنا كنت شاهد عليها : اثنين من بلدياتي حفرا تحت منزليهما للبحث عن كنوز الفراعنة، وعندنا في القرنة لو حفرت تحت أي بيت ها تلاقي حاجة . . تمثال، جعران، أنت وحظك، لكن دايمًا لابد من تقديم القرابين المناسبة وهو ما فعله هذان الشخصان وهما أخوة بالمناسبة، أراقا دماء حيوانات على المكان الذي سيحفران فيه وقرأ شيخ متخصص في فك السحر التعاويذ التي يراها ضرورية، بعد أن حفرا لمدة يومين متصلين انفتحت الأرض ليجدا تحتهما غرفة واسعة، الشيخ كان قد حذرهما من النزول تحت الأرض إلا بوجوده لكنهما مع المفاجأة نسيا أو تناسيا هذا طمعا في إبعاد الشيخ عن الغنيمة، نزلاً إلى الغرفة وسط دعوات أسرتيهما في الأعلى واللذين ظلوا طوال الوقت يتحدثون معهما حتى يشعرا بالطمأنينة، لكن صوت الرجلان انقطع فجأة . . لم يجيبا أي نداء، كانت آخر كلمات قالاها بعد أن لامست أقدامهما الأرض تعبر عن دهشة وخوف شديدين. استدعت الأسرة الشيخ الذي قرأ عدة تعازيم ثم نزل إلى الأسفل ودعي الأبناء للنزول إلى الغرفة . . . ليصابوا بذهول لن يغادرهم حتى الموت، كانت فارغة تماما، مجرد أربع جدران . . لا أثر فيها مطلقًا للأخوين، لا جثة، لا نقطة دم . . .

لم يقب ياسر عبد الحافظ على ما قاله صديقه، فتابع هو قائلا إن الشيخ حاول إفهام الأسرة دون جدوى أن الغرفة ليست إلا ممرا بين

عـالمين وأنهـا كانـت إحـدى حيـل الفراعنـة لاصـطياد مـن ينبـشون قبورهم . . . يعني راحوا فين؟ هكذا كانت الأسرة تـسأل والـشيخ لا إجابة لديه، ورفض المشاركة في هدم حـوائط الغرفـة للبحـث وراءهـا لأنه كما قال لا يمكنه أن يتخيل بقية الفخاخ وراءها . . . ولم يكن أمـام الأسـرة إلا إغـلاق الغرفـة مفـضلين انتظـار أن يفـرج الفـراعيين عـن الأخوين على التضحية بحياتهم، وأبلغـوا الـشرطة عـن تغيبهمـا دون توجيه اتهـام لأحـد أو الإدلاء بتفاصـيل، ورغـم أن الجميـع يعرفـون الحقيقة إلا أن ذلك لا يتم الحديث عنه إلا سراً.

كان ذلك تفسير صديق الكاتب[2] لحادث بني مـزار فهـو لـيس إلا قربانًا لفتح كنز ضخم وليس مجرد جعران أو تمثال. ثم أعقب أنـه لـيس مطلوبا منا أن نـصدق هـذه القـصص، غـير أنـه لـيس علينـا أيـضًا أن نرفضها فهي وغيرها أصـبحت المكـون الرئيـسي لعقليـة معظـم أفـراد الشعب المصري على اختلاف مستوياتهم وثقافتهم، ففي حين يفـضل العامة قصة الكنز يرتقي الأكثر ثقافة قليلا فيطرحون تـصورا مفـاده أن الموساد يقف وراء هذه المذبحة وذلك لإحداث نوع مـن الرعـب مثلمـا فعل في فلسطين، في حين يؤكد لك آخرون أن أمريكا مليئـة بجماعـات تهوي سـفك دمـاء البـشر وأن هـذه الجماعـات جـاءت للعـراق بعـد

(2) نفس المصدر السابق.

الاحتلال لتمارس هوايتها ومن العراق بدأت توسع ملعبها ليشمل دولا أخرى . . عربية وإسلامية بالطبع.

المدهش أن أحد التفسيرات الأولية بأن وراء المذبحة جماعات مسيحية متطرفة قد تم استبعاده فورا ليس تغليبا لمنطق ما وإنما لنفي كل ما هو عقلاني عن واقعة تتحمل أن يملأها الناس بهلاوسهم).

كما يرى ياسر عبد الحافظ أن حادثة بني مزار ليست المثال الوحيد على انسحابنا التدريجي والإرادي من عالم الواقع إلى آخر تتحكم فيه الأسطورة هناك مئات الأمثلة التي يمكن تتبع انتشارها وصعودها منذ بداية الثمانينيات، وأن السحر والدجل والشعوذة والذي كان موجودا على نطاق محدود بدأ في الانتشار مرة أخري، لتصاحبه موجة أخري لم يستطع أحد وضع حد لها وهي العلاج بالقرآن.

ويرى كذلك أنه مع زيادة الأزمات النفسية لدى الناس من كثرة الضغوط التي يتعرضون لها ومع الكفر التقليدي العربي عامة بفكرة الطب النفسي ظهرت موضة الجن الذي يتلبس الإنسان ويتحكم بحياته ومع الفكرة ظهر المعالجون بالقرآن أولئك الذي يقرءون القرآن على جسد الضحية ويتحدثون مع الجن بالداخل ويأمرونه بالخروج من إصبع القدم، أحيانًا تطول الجلسات على حسب عدد الجن الموجود، وأحيانًا ما كانت الضحية الملبوسة تذهب ضحية جهل وجهل المجتمع

عندما يضربها المعالج بقسوة لتأديب الجني الكافر الذي يرفض سماع الكلام.

## أهالي عزبة شمس الدين:

بعد أن شيع أهالي عزبة شمس الدين[3] جثث الضحايا العشر.. استمعت نيابة بني مزار إلى أقوال كمال عبد الحميد الذي يعمل بمخبز بلدي بنفس العزبة وشقيق المحامي طه عبد الحميد الذي لقي مصرعه ووالدته، قال انه استيقظ من نومه كعادته في ساعة مبكرة مع أذان الفجر للتوجه إلى عمله وقد اعتاد أن يقوم بتقبيل يد والدته لحظة إيقاظها لصلاة الفجر، فلاحظ له مصباح لمبة الصالة مطفأة، وذلك على الرغم من أن أسرته اعتادت أن تكون الصالة بها إضاءة وما أن توجه إلى غرفة والدته لإيقاظها حتى وجدها غارقة في دمائها فأسرع على الفور لإيقاظ شقيقه المحامي طه عبد الحميد من غرفة نومه، حيث اعتاد أن ينام في غرفة مستقلة فوجده جثة مسجاة على الكنبة وغارقًا في بحر من الدماء، مما دفعه إلى الخروج من المنزل والاستغاثة بالجيران الذين تجمعوا لمشاهدة الحادث وعلت صراخات.

كما استمع فريق المحققين إلى أقوال كل من الشقيقات الثلاث منى سيد محمود وزينب وأم هاشم أنهن سمعن صراخا بصدر من منزل

(3) الأهرام ـ الأول من يناير 2006م.

مجاور لمنزلهن فهرعن للوقوف على أسبابه، قررت الفتيات الثلاث أنهن يقمن مع الأسرة المكونة من والدهم سيد محمود محمد عودة50 سنة ووالدتهم صباح على عبد الوهاب، وشقيقيهما أحمد 10 سنوات وفاطمة 8 سنوات إلا أن الفتيات الثلاث يقمن بالطابق الثاني بالمنزل في الوقت الذي اعتاد الأب والأم والشقيقتان المبيت في الطابق الأرضي وأضافت الفتيات الثلاث أنهن أثناء نزولهن فوجئن بجثث الأب والأم والشقيقتين وسط بركة من الدماء فهرعن أمام المنزل حيث تجمع الجيران، وأضافت الفتيات الثلاث أنهن لم يشاهدن أي شخص غريب بالمنزل ولم يشعرن بأحد لحظة تنفيذ الحادث.

كانت الاحتمالات تشير إلى أن الجاني ربما كان مريضًا نفسيًا، أو مختلاً عقليًا، حيث انه نفذ جريمته بطريقه عشوائية وحشية وعبثية. وأكد مصدر أمني وقتئذ أن فرق البحث تضع أمامها كل الاحتمالات والدوافع، ولكنها لم تتوصل إلى دافع للانتقام، أو الثار، أو السرقة، بعد فحص جميع علاقات الضحايا. وأشار إلى انه يجري البحث عن بعض المرضى النفسيين، سواء من البلدة نفسها، أو القرى المجاورة، وأيضًا شهود رؤية، ربما يكونون قد شاهدوا الجاني.

ناقش د. محمد المهدي في مقالة نشرت على النت تحت عنوان: (هل فعلها المجنون في بني مزار)، رأى د. المهدي أن أمر تسوية

جريمة بني مزار البشعة بات شيئا مطلوبا لطمأنة الناس وتهدئة النفوس واستمرار الحيرة والغموض ربما يؤديان إلى تداعيات خطرة خاصة إذا ذهبت الظنون في اتجاهات العنف القبلي أو العشائري أو العائلي أو الطائفي، هنا يصبح الأمر كارثة لأن حجم الغضب والانتقام سيكون متناسبًا، بل ربما يكون متجاوزًا، لبشاعة الجريمة وما صاحبها من تقطيع وتمثيل بالجثث.

ورأى د. المهدي أن هذا قد يكون هو السبب في التعجل بتقديم أحد المرضى بالفصام في القرية على أنه الفاعل، واعتبر أن هذا حل مريح لجميع الأطراف، فبالنسبة للسلطات الأمنية يخف عنها الضغط الفوقي المتسائل عن السبب والفاعل، ويخف أيضًا ضغط الرأي العام القلق والمترقب في هلع لأهل الضحايا فهم سيحتسبون الأمر عند الله ولا يفكرون في القصاص حيث أن الفاعل مجنون وليس على المجنون حرج، وبالنسبة لأسرة المجنون في رأي د. المهدي فقد حانت الفرصة أمام ابنهم لتلقى العلاج في مستشفى نفسي كبير تحت رعاية السلطات المختصة ويخف ضغط مرضه عنهم ربما يكون د. المهدي صائبًا في هذا الأمر في زمن تردي فيه العلاج النفسي الحقيقي للمرضى العقليين، ربما يواجهون بعض المشاكل من نظرة الناس إليهم على أنهم ذوى القاتل ولكن هذا يمكن أن يتلاشى مع الوقت فهم ليس لهم دخل فيما حدث (في الحقيقة أن أهل المتهم تركوا القرية بما فيها وللأسف أن

البعض استغلهم سياسيًا من أجل الإدلاء بأقوال وتصريحات يصعب تصديقها).

وهذه بالطبع لم تكن وجهة نظر د. المهدي وحده وإنما آخرون أطباء نفسيون وخبراء أمنيين وعبرت وجهة النظر عن أن هناك دوافع قوية لدى الجميع (شعورية وغير شعورية) لإلصاق التهمة بشخص مجنون يحمل وزر ما حدث، ويقي الجميع شر تداعيات هذه الجريمة البشعة، وفي النهاية لن يواجه هذا الشخص المريض عقوبة قاسية مثل الإعدام، وإنما سيحال إلى أحد المستشفيات العقلية للعلاج، وهكذا يغلق هذا الملف مع أقل قدر من الخسائر، أما الضحايا فهم في ذمة الله يعوضهم ويعوض ذويهم عما حدث. (وهذا سرّ عدم تصديق الناس أن يكون الجاني هو محمد عبد اللطيف) وتسأل الدكتور المهدي هل يستطيع فعلا شخص مصاب بالفصام أن يقوم بهذا الفعل على الطريقة التي حدث بها وبهذا التخطيط المحكم وحده في ثلاث بيوت متفرقة وتجاه عشرة أشخاص لم يقاومه أحد منهم؟) ولقد أجبنا عن هذا السؤال تحديداً في الأهرام.

ثم يستطرد الدكتور المهدي بأن الذي يتعامل مع حالات الفصام أو حالات الجنون بوجه عام يصعب عليه تصديق هذا الاحتمال أو قبوله بأي درجة من الطمأنينة أو اليقين، فمريض الفصام لديه اضطراب

تركيبي في المخ ولديه اضطراب على مستوى الناقلات العصبية، وهذه الاضطرابات تؤثر في قدرته على التخطيط والتنظيم المحكم، وتؤثر أيضًا في إرادته، وهذه التأثيرات تجعل لجريمة الفصامي خصائص معينة تتنافى مع ما هو قائم في جريمة بني مزار أن هذا التفسير لا يستند على دليل علمي لأن جرائم القتل المتسلسلة محليًا وعالميًا تؤكد عكس ذلك ولعل حوار الصحفي أيمن فاروق مع اللواء عدلي فايد مساعد وزير الداخلية لقطاع الأمن العام والذي كان رئيسًا لفريق البحث في قضية بني مزار كان مفصلاً ويحمل التفسير الأمني والدليل البرهاني لحالات مماثلة[4] كما أكدت نفس وجهة النظر تقريبًا أحمد خالد توفيق[5]، كما كتب صابر مشهور[6] ما معناه أن الفصامي قد يرتكب جريمة عنف انطلاقا من معتقد خاطئ في عقله كشعور بالاضطهاد أو الظلم أو الخطر من أحد، والفصامي يمارس العنف بدم بارد نتيجة تدهور مشاعره، ولكنه مع هذا لا يملك هذه القدرة الفائقة للتخطيط والتنفيذ في أكثر من مكان وأكثر من شخص دون أن يترك أثرًا يدل عليه، بل

(4) صفحة الحوادث ـ الأهرام السبت 4 فبراير 2006م.

(5) جريدة الدستور عدد 25/ 1/ 2006م تحت عنوان (جريمة ـ بني مزار ـ قد يكون محمد على الشاب المريض نفسيًا هو الذي أرتكبها بمفرده، والأدلة موجودة).

(6) جريدة المصري اليوم عدد 7/ 1/ 2006م (والأطباء النفسيون: الاختلال العقلي لا يعني أنه فاقد الذكاء ـ عنابر المذنبين في مستشفيات الأمراض العقلية مليئة بالقتلة).

الأكثر توقعا منه أن تكون جريمته اندفاعية عشوائية وغير منظمة، وتكون رد فعل مباشر أو شبه مباشر على استثارة أو استفزاز من أحد، وتكون موجهة ـ في غالب الأحيان ـ لأشخاص لهم علاقة قريبة بالمريض كزوجته (إن اعتقد فيها الخيانة) أو أحد أقاربه (إن اعتقد أنه متآمر عليه) أو أحد زملائه القريبين (إن اعتقد أنه يخطط لإيذائه)، أما أن يقوم بهذا الفعل المركب شديد التعقيد تجاه هذا العدد من الناس الذين لا تربطهم رابطة ففيهم رجال ونساء وأطفال صغار، فهذا ما يصعب تصديقه من الناحية العلمية والواقعية هكذا يقول د. محمد المهدي ولقد رددنا تفصيلاً على هذه النقطة في مقالنا سيكولوجية القتل من ريا وسكينة إلى بني مزار المنشورة في الأهرام.

وقد يقول قائل: إن عملية القتل بهذه القسوة والبشاعة وعمليات التقطيع والتمثيل، وقتل الحمام تشير إلى درجة عالية من القسوة المصحوبة بالبلادة الشعورية المصحوبة بالغرابة وكل ذلك يشير إلى فعل مجنون.

وربما يكون شكل مسرح الجريمة هو الذي أوحى بفكرة أن يكون مجنون قد ارتكبها، ولكن مع هذا فهناك احتمال أن يكون مرتكب الجريمة قد قصد هذا ليشتت انتباه المحققين ويضعهم في حيرة، أو ليوجه أصابع الاتهام لوجهة معينة. أما بشاعة الجريمة وقسوتها فيمكن

فهمها بدون افتراض جنون القائم بها، فقد اعتدنا في السنوات الأخيرة على صور بشعة للقتل من أشخاص ليسوا بمرضى نفسيين ومع هذا مارسوا العنف بوحشية لا يتحملها عامة الناس، وربما يكون السبب في ذلك كثرة التعرض لمشاهد العنف الدموية في الفضائيات وعلى الإنترنت، وفي الألعاب الإلكترونية، حيث يقضي الشخص وقتًا طويلاً يشاهد العنف والدم والتقطيع أو يمارسه هو من خلال ألعاب الفيديو وربما يستمتع بمنظر الضحايا وهم يتساقطون تحت ضارباته ثم ينهى اللعبة وهو شديد السعادة بما حققه من قتل وإبادة، ومع تكرار التعرض لهذه المشاهد تقل الحساسية تجاه القتل والدم والأشلاء، وتقل الحساسية تجاه ما يعانيه الضحية. يضاف إلى ذلك الإحباطات الشديدة التي يعانيها كثير من الناس فتجعل نفوسهم مليئة بشحنات الغضب والقسوة والعدوان. (وأعتقد أن هذا الوصف الجميل للدكتور المهدي ينطبق على خيال وذهنية الفصامي أو من شابهوه من مصممي البرامج القاتلة الدموية أو مخرجي الأفلام الصعبة أو المجانين الذين لم تتح لهم فرصة أو رفاهية الفحص الطب النفسي)، كما أن هناك أشخاص لديهم ميول سادية (أي يستمتعون بعذاب الآخرين) دون أن يكونوا مرضى بالمعنى المعروف، وهناك شخصيات معادية للمجتمع يمكنها أن تقتل بدم بارد لأي سبب من الأسباب، وهناك من يحملون في رؤوسهم أفكارا انتقامية شديدة

تؤهلهم لدرجات عالية من العنف والتدمير. أي أننا لسنا في حاجة لافتراض الجنون فيمن يقوم بفعل مثل هذا، بل إن دقة التخطيط والتنفيذ بهذا الشكل تستبعد المجنون، فالمجنون ليس حريصا على حياته بهذه الدرجة التي يتقن فيها كل ما يفعل حتى لا ينتبه إليه أحد، فهو يقتل اندفاعا دون حساب للعواقب، وهو لا يخطط بهذه الدقة لينجو من العقاب فليس لديه هذا القدر من الحذر والحرص على الحياة الذي يتميز به غير المرضى هنا يجب التوقف عند نقطة أن التخطيط والتنفيذ يستبعد المجنون ولا أرى في ذلك برهانًا وإنما أراه افتراضًا ورأيًا.

## الجرافيك الاجتماعي والنفسي لحادث "عزبة شمس الدين":

لا شك فيه أن حادث عزبة شمس الدين[7] (بني مزار المنيا) بقدر ما أثار جدلاً شديدًا من باب الشعور بعدم التصديق الكلي والكامل أو الإنكار DENIAL وتفضيل إحالة الموضوع، (الجريمة الشنعاء)، إزاحته إلى منطقة السرقة، الآثار، الخزعبلات وما إليه لكن ها هنا من واقع الاعتراف (سيد الأدلة)، ومن واقع الشكل الديموجرافي (الجغرافيا والسكان) و(السياسي النفسي والاجتماعي ـ السوسيو جيوبولتيك Socio -Geopolitical)، الحلم بالوصول إلى

(7) المؤلف ـ المصري اليوم ـ.

خط الفقر[8] ـ في القرية 8 آلاف نسمة بينهم 100ألف موظف فقط الجاني (حاصل على الإعدادية) تاريخه المرضى العقلي (شخص على أنه يعانى من فصام العقل ـ شيزوفرينيا **Schizophrenia** مصحوبا بهوس وسواسي وفكرة تسلطية) طريقة ارتكابه للجريمة المتسلسلة (قتله للرجال أولاً بالساطور ثم ذبحهم من منتصف الرقبة إلى الأذن ثم بتر القضيب ودفنه أو وضعه فوق السطح ثم ذبحه للحمام حينما رفرف، ثم خروجه ودخوله من بيت إلى بيت من السلم الخلفي في هدوء وبرود القاتل المهووس الشديد المرض[9].

يطرح كل ذلك أسئلة لابد من الإجابة عليها حرصًا على مستقبل الناس وصحتهم في مصر بدءًا من هل هناك حصر حقيقي للمرض العقليين في مصر؟ هل هناك رعاية ومتابعة لهم ولم لا؟! هل هناك نظام التمريض المجتمعي الذي يذهب إلى الناس في بيوتهم، يتابع أحوالهم، يعطى المريض حقنته الوقائية الشهرية ويعلم أهله وأهل عزبته علامات الانتكاسة والخطر. ويرشد على علامات التوقف عن تناول الدواء وخطورتها الشديدة (كما تبين أن هكذا كان الأمر؟! في حادث بني مزار الشديد الدموية حيث امتنع عن تناول الدواء لمدة ثلاثة أسابيع قبل ارتكاب الحادث[10].

(8) المصري اليوم الأربعاء 4/ 6/ 2004م.
(9) الأهرام 4/ 1/ 2006م.
(10) نفس المصدر السابق.

أولاً هذا القتل الفريد من نوعه وكأنه جاء تراكمًا وتتابعًا وتسلسلاً لما قبله (بدءًا من المرأة والساطور، إلى تلك التي خمدت زوجها ورقصت مع عشيقها فوق جثته ثم مارسا الجنس وبعدها صلىّ القاتل في دار السلام، على الذي مزق جسد عروسته إلى نصفين بعد حوالي ثلاثة أسابيع من الزفاف، إلى الممرضة التي خدرت زوجها وشرحته بشفرة الحلاقة إلى نصفين، تخلصت من نصف وتركت نصفه الآخر في البانيو، وقبل ذلك بعامين ذلك الذي قتل أم صديقة المدمن ليسرقها ويشترى بالمال ما يخدره ويذهب بما تبقى من وعيه، وتلك في (محافظة البحيرة) التي طعنت زوجها مدمن الجنس والفياجرا حتى الموت، إلى قاتل بناته الخمس في سوهاج، وقاتل عائلته بأكملها في البساتين، إلى تلك التي سلقت لحم زوجها بعد ذبحه . . . ) وانتهاء بفظاظة العيش وتداخل كل موبقات المجتمع، إلى الذهن المريض المعتل في تصورات انتقامية، ولعل الاجتهاد الذي يتبادر على الذهن هو أن هذا الشاب (العاطل) يحسد كل هؤلاء (العَشرَة) على حياتهم وعلى رضاهم بالمقسوم. حَسدَ الرجال على أنهم متزوجون وعلى استخدام أعضاءهم التناسلية وكذلك النساء أفسد أعضاءهن عقابًا لهن، وحتى ذبحه للحمام ربما جاء اعتراضًا على رفرفته، وعلى حياته، فلا يحق له أن يحيا ويرفرف على موتى أحياء.

أين هو هذا القاتل أيًا كان ذلك الذي اعترف أو غيره (لأن الثقافة

المصرية ترفض الأدلة وسهولة الاصطياد والاعتراف وتؤمن وتتلذذ بتعقد الجريمة وتشابكها على طريقة أجاثا كريستي)، ولأن هناك اعتقاد بأن الداخلية قد أمرت رجالها بسرعة للتحري والقبض مما أشعر الناس بروح الفبركة، إن هذا القتل الجديد، غير العادي، المتعمد مع سبق الإصرار، لا ينفك بعيداً عن ثقافتنا الحالية المشوشة الفسيفسائية (متعددة الألوان والأشكال) الفاقدة الهوية، المائعة الهدف والمعتمة الرؤية؟! ثقافة مجتمعية مشطورة متداخلة متشابكة مع التعدد والتشتت، المزج والخلط بين القنوات الإباحية، الفضائيات المفتوحة، الأغاني الهابطة، الصحف الفارغة، الإخباريات المدمنة لمشاهد العنف ولروح التآمر وعذاب القبور ومآسي المؤامرة، فأصبحنا كمجتمع وكأننا نجُرى لحظيًا جراحة ترقيعية لإضافة أجزاء صناعية إلى بنية المجتمع (ولعل الرمز المقابل هنا هو بتر القاتل لأعضاء الرجال والحفاظ عليها وإذا كان أرضية البيت من تراب فيرميها على السطح؟!)، وكان ذلك الكابوس الذي حدث في عزبة شمس الدين نوعًا من التكيف المباشر والمروع لعنف وشظف الحياة اليومية، وكأنه رغم الخوف والرعب والهلع نوعا من الإدمان على العنف، ربما يسدّ الرمق ويطفئ الظمأ في مجتمع مصر الحديثة، بمعنى ظهور ما يمكن تسميته بـ(المجال المريض، المنطقة الموبوءة) في المجتمع، انبثاقها تطورها حتى آل الأمر إلى ما آل إليه في بني مزار، هناك حميمية بين

صفحات الصحف في مصر ـ مثلاً ـ وجموع الناس الفقيرة في عزبة شمس الدين (البطالة حوالي 85٪[11])، وكأن بعض الناس موجودون في هذا القاتل، والبعض الأخر هو تلك الأسر وأفرادها الضحايا العشر، لنا هنا أن نسأل أسئلة بدائية جداً، ربما ننعطف عن إجابتها قليلاً أو ننفرج كثيراً لاستيضاح الأمر؟! . . .

ما الذي كوّن هذا القتل وهذا القاتل؟ ولماذا وهكذا وكيف أصبح؟! كيف ولد وتربى وتعلم ونشأ، وهل كان على دراية بالعنف الديني وعنف الانتخابات البرلمانية القاتل 2005 مثلاً؟!

إن الإجابة على كل تلك الأسئلة ليست سهلة على الإطلاق حتى مع الاعتراف ووجود الأعضاء التناسلية المبتورة. إن القاتل المتسلسل (بمعنى أي قاتل سواء كان يعانى من الفصام أم لا) لديه ذلك الدافع القهري التسلطي للعنف، وكأنه يتمزق بين قطبي (الجهل والفقر والمرض) و(الجنون ـ بكل لوعته ومأساته وجحيمه).

إن التعريف الجنائي، الطبي النفسي للقاتل المتسلسل يكاد ينحصر في مصطلح (تعريف الحدث) **Naming Event**، تبدو هنا المسألة مركبة للغاية: كيف؟ بالفعل ـ يمكننا تعريف حدث عزبة شمس الدين ببني مزار المنيا في مصر 2006م؟ المسألة أعقد من تفسير بسيط للداخلية، أو للمستشفى العقلي لأن المصطلح والمفهوم لا (يقنن ولا

(11) الأهرام الأحد 11/ 2006م.

يصنع)، لأن إطلاق الأحكام على عواهنها يضع على أعناقنا كلنا طوقًا حديديًا، فكأننا ننظر إلى شخص واحد (قاتل، سفاح، مجنون، مخبول) نسكب فيه كل سوءاتنا وعيوبنا النفسية، الاقتصادية، السياسية، التعليمية، الدولية، والاجتماعية، كل أفعالنا المشينة، تجاوزاتنا، حماقاتنا، خيالاتنا المعلنة والمكتومة الدفينة والمريضة، كل نواحي قصورنا في حق أنفسنا كأفراد وكجماعة، كدول وكمؤسسات، كصحة ومرض، كأسرة وأرض وغذاء وهواء وكساء ولحم ودم وأعصاب ويبدو الأمر هنا كدورة فارغة من الممكن ببساطة ربطها بحريق قطار الصعيد وحريق مسرح بني سويف وكل منهما على بعد كيلومترات من عزبة شمس الدين..

نعم.. هذا القاتل يرقد في بطن المجتمع الرخوة، يشير بإصبعه أو بساطوره أو بسكينه ليبتر ويقطع ويشوه الأحلام والحمام والرُضّع... إنه خارق مخترق للبناء الاجتماعي المعطوب (مجتمع مليء بمنظمات حقوق الإنسان وهيئات نسويه ومنظمات دولية وغيرها)، ولا أحد يهتم بظاهرة العنف المتنامي تغرقنا البرامج الهوائية والأرضية والصحف السيارة، تغرقنا بسيل من الانطباعات وجنرالات العلوم الوصفية وكأنهم يرسمون لوحة (اسكتش) للشيطان، وهم كلهم ونحن كأننا الملائكة نحاول أن نداوى بالبلسم الشافي الجروح الغائرة، ترى هل نخاف ونرتعد ونوصد أبوابنا خشية أن يكون الجار (فصاميًا نادرًا سفاحًا) ينتظرنا. أم ننزل على السلالم

خوفًا من لقائه في الأسانسير، أو خوفًا من أن يصبح أحدنا، أم نناقش تركيبة الوزارة الجديدة (هل ننتظر الزبد من خض الماء)، هل لوزير الصحة الجديد أن يخبرنا عن مشروع تطوير الصحة النفسية في مصر الذي تدعمه فنلندا منذ عام 2000م؟، هل هناك مسح صحي إحصائي للمرضى النفسيين في مصر؟، هل هناك ميزانية حقيقية للدواء النفسي الذي أصبحت أسعاره أغلى من اللحمة بمراحل؟ هل الحال بمستشفياتنا العقلية (تمام) هل هناك مواكبة للعلاج الحديث (مجتمعيًا ومن خلال الفضفضة العلاجية المهمة والمهملة)، هل هناك مثلاً (حملة قومية ضد الاكتئاب)، هل هناك دراسات تربط بين الواقع بكل مرارته واضطرابه وتشاؤمه وبين ظهور العنف بهذا الشكل أما أنها فقط واصفة محللة؟، هل هناك بحوث لدراسة المرض العقلي بهذا الشكل، اختلافًا وتنوعًا، هل يمكن أن تصبح الأمور أفضل ولا نرى رجلاً عاريًا في وسط الطريق العام مغطى بالوساخات وكل أنواع الفضلات الآدمية لأنه (كان ينظف بالوعة المجارى) نعم ـ في القاهرة في 2006م ـ وهو يعتبر موظف عام في عصر القرية الذكية، والحكومة الذكية، وثورة الاتصالات وسهرات رأس السنة التي تفوق كل وصف وكل حَدّ.

إن كل هذا العنف في عموم مصر ما هو إلاّ عَرَضْ وانعكاس للأزمات الاجتماعية ممتزجة بكيمياء المخ العصبية في حيرتها ونزوعها إلى التعكير الشديد، هل لنا أن ندرك وأن نعلم يقينًا أن البيئة المحيطة

بكل سلبياتها وتوحشها تؤثر على كيمياء المخ العصبية فتولد الجنون والحماقة والقتل والاغتصاب لدى أفراد ليس لديهم أي استعداد وراثي ولا شخصي. بمعنى انبثاق شريحة جديدة من الناس يتكوّن فيها الخطر والظلم والحرمان.

هل نملك شبكة من (المعرفة والقوة) تمكننا من الرصد، العلاج والوقاية ممن يستمتعون بإراقة الدماء وبالرشوة والفساد كذلك، إن ذلك التوتر المجتمعي الذي نعاني منه الآن شديد جدّ شديد ونحن نزحف بالفعل على أرض ثلجية، ببطن رخوة وعضلات واهنة!! وهم هناك في مصر الأخرى يحتفلون بافتتاح فيلم (رعب) باسم (أجنبي) وسط القاهرة (اندفع) شاب شاذ نفسيًا جنسيًا وسط الجمهرة إلى ممثلة فاتنة ودسّ فيها في موطن عفتها أصابعه مما أحدث نوبة من الفزع. هل هذا الشخص (رغم أنه ضرب بالشبشب) مختلف عن قاتل بني مزار وهل هو مختلف عن سائق أتوبيس النقل العام الذي تمهل ثم توقف وسط الطريق العام ليبصبص هو والكمساري والركاب وليحملقون في غادة حسناء تتمشى مع كلبها على الرصيف المقابل؟!، أم أن السلوك واحد، أم هو مشروع السفاح الجنسي يغتال الحسناوات بأصابعه أو بساطوره.

تري كم قنبلة موقوتة وكم لغم مدفون وكم مشروع لألم وحزن

وانقباض وتشاؤم، لا نريد أن نعد ولكن نريد أن نرصد وان نعالج وأن نقاوم وأن نخطط للوقاية. ما أمكن ذلك. . .

## سيكولوجية القتل والقاتل بين ريا وسكينة وبني مزار[12]:

كان شعرها أحمر، وثوبها رماديًا دون أكمام. كان ذراعاها بيضاوين ويداها مصفرتين من عصير البرقوق. وقف غرنوي منحنيًا فوقها ممتصًا بأنفه شذاها الذي أصبح الآن نقيًا لا شائبة فيه، شذاها المتصاعد من عنقها وشعرها وفتحة ثوبها، تاركًا إياه لينسان إلى داخله كهبة ريح رقيقة. لم يشعر بمثل هذه المتعة من قبل أبداً. أما الفتاة فقد سرت القشعريرة في جسمها، لم تره بعينيها، لكن إحساسًا بالرعب انتابها، واجتاحها زمهرير غريب، كذلك الذي يشعر به الإنسان حالمًا يعاوده رعب قديم منسي.

أحست بتيار بارد يسري في ظهرها وكأن أحدهم قد فجأة باب قبو هائل بارد وضعت سكين المطبخ على الطاولة، ضمت ذراعيها إلى صدرها والتفتت.

(12) خليل فاضل ـ الأهرام 21 / 1 / 2006م.

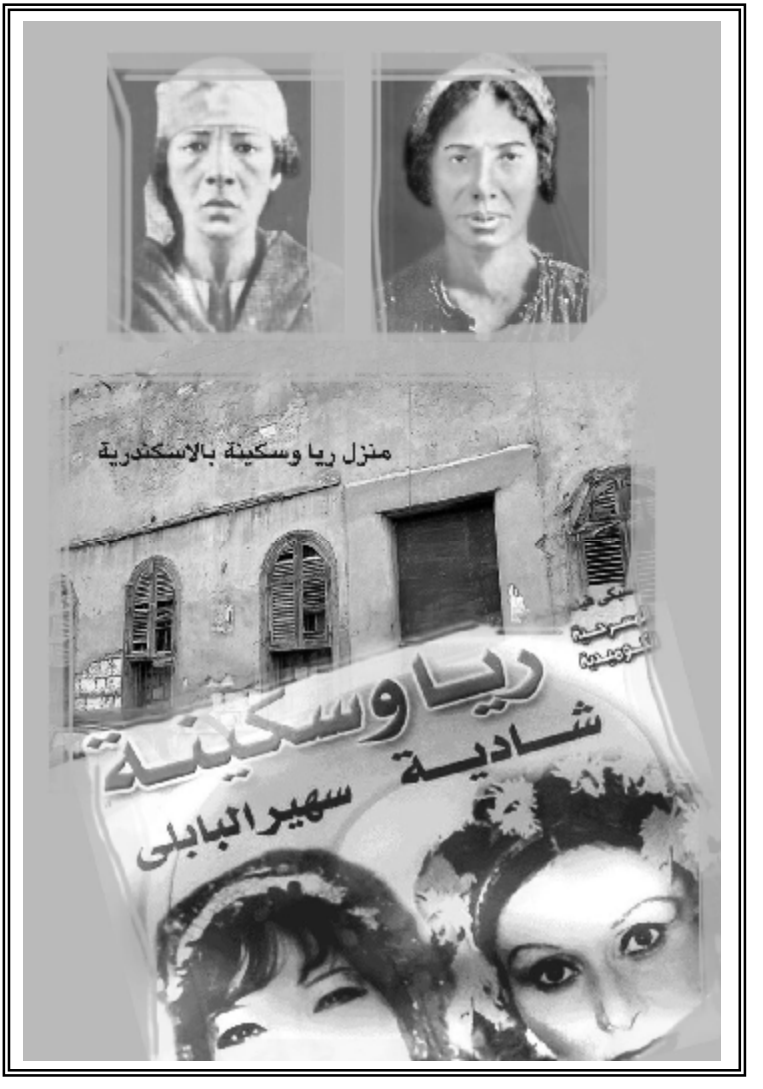
منزل ريا وسكينة بالاسكندرية
ريا وسكينة
شادية
سهير البابلى

تجمدت من الذعر عندما رأته وهو يمد يديه بهدوء ليحيط عنقها.

لم تحاول أن تصرخ أو أن تتحرك أو حتى أن تقاوم. أما هو فإنه لم ينظر إليها.

لم ير وجهها الناعم الموشي بالنمش، ولا شفتيها الحمراوين، ولا عينيها الخضراوين الواسعين المتلألئتين، فقد أغلق عينيه بإصرار وهوة يخنقها، إذ لم يكن ثمة ما يقلقه سوي فقدان ولو ذرة واحدة من شذاها.

عندما ماتت وضع جسدها على الأرض وسط بذور البرقوق ثم مزق ثوبها، فاندفع تيار الرائحة ليجتاحه بشذاه. هجم بوجهه على بشرتها وأخذ يحركه بمنخريه المفتوحين عن آخرهما متنقلاً من البطن إلى الصدر، صاعداً حول الوجه، متغلغلاً في الشعر، عائداً إلى البطن، هابطًا إلى فرجها ففخذيها، إلى ساقيها البيضاوين. تشممها من رأسها حتى قدميها، جامعًا آخر ما تبقي من عبقها عند الذقن والسرة وطية الساعد.

عندما انتهي من تشممها حتى الثمالة بقي لبرهة يدور حولها محاولاً استعادة ذاته المستغرقة فيها كليًا. لم يبغ أن يضيع منه شيء من عبقها، ولذا كان عليه أولاً أن يغلق مزاليجه الداخلية بإحكام. ثم نهض ونفخ الشمعة فأطفأها[13].

(13) بتصرف عن رواية ـ العطر لزوسكيند.

وبعيدًا عن الأدب، وقريبًا من الواقع، حَدَث ما يحدث وسيحدث وسط ذهول الناس وعدم تصديقهم أن المقبوض عليه هو المتهم الجاني في مذبحة بني مزار. ما معنى (الهاتف) الذي قاده إلى ثلاث بيوت غير متلاصقة في شارع واحد؟! وكأنها تلك اللحظة الغريبة، وتلك الاندفاع الغامضة التي حركته بشكل هندسي جراحي منمق، وكأنه الجزار يفصل الذبيحة، أو الترزي يجرح القماش، فبدا كما لو كانت هناك قوي خفية تحركه (قوة خفية مرضية عقلية بحتة لها كيمياء الضلالات العنيفة وقوتها)، لينهي عمليته الشنعاء بكثير من الدماء والضحايا دون أدني دافع أو إحساس بالذنب.

وفي حوار نادر نشرته (أخبار الحوادث) مع النتهم (الذي بُرِّئ لاحقًا) نشر على مواقع مختلفة على النت نورده كما هو لأهميته القصوى:

(ساعتان كاملتان ناقشنا خلالها المتهم محمد على الملقب بسفاح بني مزار.. لا يمكن أن ننكر أن آثار المرض كانت بادية عليه شكلاً وموضوعًا.. ولا يمكن أن ننكر أن لديه بعض التفاصيل المهمة عن المجزرة التي ارتكبها.. لكن بعض إجاباته كانت تثير الدهشة حينا.. والارتياب حينا آخر.. والسخرية حينا ثالثًا!.. قال مثلاً أنه دخل منزلين آخرين بعد جرائمه في ثلاث

بيوت، وأكد أنه لو وجد في المنزلين سكانا لما كان يتردد في قتلهم! . . قال أن جلبابه لم يكن ملطخا بدماء الضحايا . . وبمنتهى العقل قال أنه يتمنى إعدامه بدلاً من أن يقتله أهل القرية!

سألنا المتهم: لماذا قتلت المجني عليهم؟!

- قتلتهم كده وبس! هل بينك وبينهم أية خلافات دفعتك للانتقام منهم بهذه البشاعة؟!
- لا . . مفيش بيني وبينهم أي مشاكل . . دول حبايبي . . وسيد ويحيي شاركينا في الزراعة . إذن لماذا قتلتهم؟!
- مش عارف!
- ماذا فعلت قبل ارتكاب المذبحة؟!
- كان يوم عادي زي كل يوم . . بعد صلاة المغرب رجعت من الأرض مع أبويا وقعدت في البيت . . اتعشيت مع الجماعة "عدس" وبعدين قعدت في البيت . . وبعد الساعة 12 تقريبًا لقيت نفسي أمشي في شوارع البلد وحدي . . مش عارف رايح فين . . ولا عند مين . . أخدت الساطور والسكين بتوعي من كوم القش اللي جنب بيتنا . . وطلعت لبيت 'يحيي' عن طريق الحائط الخلفي . . وبعدين نزلت من داخل السلم . . لقيت يحيي وزوجته أنعام وأطفاله أسماء والرضيع "محمد" نايمين على سرير واحد . . وفي حجرة واحدة . . قتلتهم كلهم . . واخذ يشير محمد

بكلتا يديه . . ثم أكمل كلامه : وبعدين تأكدت من موتهم وقطعت الأعضاء التناسلية . . ودورت على مكان أدفنها فيه . . فوجئت أن الأرض "ناشفة" معمولة خرسانة . . فضلت أدور لحد ما لقيت مكان في 'الحمام' . . دفنتهم فيه وبعدين دورت في الغرف الباقية على أي حد تاني يكون نايم . .

قاطعناه : ليه؟!

- قال محمد : علشان اقتلوا برضه!
- كده من غير سبب؟
- أيوه . . لو لقيت أي حد كنت قتلته!
- وبعدين إيه اللي حصل؟!
- قبل ما اخرج من الباب الرئيسي للبيت وقفت على صوت الحمام وهو بيرفرف بجناحاته . . رحت أخدت 4 حمامات وذبحتها ورميت رءوسهم!
- رميتهم فين؟!
- مش فاكر! وبعدين مشيت ومعايا السكين والسطور! سيد كان حبيبي!
- ورحت فين بعد كده؟

قال محمد وهو يصدر حركة غريبة عبرت عنها ملامحه وهو يضغط على أسنانه ثم يضحك قليلا :

- رحت بيت سيد . . برضه دخلت عن طريق السطوح من عند الجيران بعدما طلعت على الحائط الخلفي بأيدي ورجلي . . نزلت من السلم الداخلي في البيت . . لقيت سيد وزوجته صباح وأطفاله فاطمة وأحمد نايمين كلهم على فراش واحد على الأرض . . رحت ساحب السكين والساطور وبدأت اقتلهم كلهم في لحظة واحدة!
- فيه حد فيهم شعر بوجودك وحاول الاستغاثة؟!
- لا . . كلهم كانوا نايمين!
- هل رشيت عليهم أي مخدر قبل ما تقتلهم؟!
- لا . . لا مخدر ولا حاجة هم كانوا رايحين في النوم!
- وبعدين؟
- وبعدين قطعت أعضاءهم التناسلية . . ودفنتها بسهولة في حوش البيت . . أسفل السلم . . حفرت حفرة صغيرة في التراب ودفنتهم . . ومالا قيتش حد تاني في البيت! لكن بنات سيد الكبار كانوا نايمين في الغرفة اللي فوق؟!

يضحك محمد ويقول بسخرية: ما شفتهمش . . لو شفتهم كنت قتلتهم برضه.

- كنت تكرههم لهذه الدرجة؟!
- بالعكس . . سيد كان حبيبي قوي وشريكنا في الأرض!

- أذن ليه قتلته هو وأسرته؟!
- ما هو أنا ما اعرفش برضه ليه؟!

يسكت محمد لحظات التقط خلالها أنفاسه ونفس الحركات الغريبة تعود لملامحه حتى انهاها بضحكة غير مسموعة ثم تهيأ لنا لنستأنف حوارنا معه.. فبادرناه:

- ورحت فين بعد كده؟
- خرجت من باب بيت سيد.. فضلت ماشي في الشوارع وحدي.. كل الناس نايمة.. ماحدش قابلني في طريقي خالص.. في اللحظة دي لوقابلت أي حد كنت قتلته.. فضلت ماشي لحد مالقيت نفسي فوق سطوح بيت الأستاذ طه عبد الحميد المحامي.. نزلت من السلم الداخلي للبيت وأنا ماسك في أيدي السكين والساطور.. دخلت حجرة طه "الخارجية".. كان الباب مواربا.. لقيت طه نايم لوحده على الكنبة.. ضربته بالساطور على دماغه وبعدين رقبته.. فوقع على الأرض وبعدين فتحت بطنه وقطعت عضوه الذكري.. تركته ورحت أدور على أي حد تاني داخل البيت فلقيت الخالة "هند" ـ أم طه ـ نايمة وحدها في الحجرة الداخلية على السرير.. ضربتها بالساطور على دماغها وفتحت بطنها.. ومالقيتش حد تاني.
- لكن أبو بكر شقيق طه وأولاده كانوا ينامون في نفس الدور؟!

- تقريبًا كانوا قافلين الباب من جوه . . فتركتهم ومشيت من باب البيت !
- ورحت فين بعد كده؟ !
- فضلت أمشي في الشوارع . . دخلت منزلين تانيين بنفس الطريقة . . لكن مالقيتش فيهم حد كانوا فاضيين . . مشيت بعد كده في الشوارع مش عارف رايح فين . . لحد ما لقيت نفسي في مدينة بني مزار . . والساطور والسكين وديتهم فيه؟ !
- رميتهم في ترعة الإبراهيمية !
- كم ساعة أمضيتها في تنفيذ المذبحة دي كلها؟ !
- مش عارف !
- وعملت إيه في بني مزار؟ !
- قعدت شوية على قهوة . . وبعدين روحت البلد تاني . . لقيت الناس كلها بتصرخ وقالوا إن الناس دول ماتوا مقتولين !
- وانصرفت ازاي؟
- بشكل عادي . . رحت بيتنا قعدت شوية . . وبعدين كنت واقف مع الناس في الشارع الكل بيتكلم عن الجريمة . .
- ومازعلتش على اللي قتلتهم؟
- زعلت طبعًا . . خاصة على سيد .
- أنت عارف عقوبة جريمتك إيه؟ !
- أبوه . . ياريت يعدموني علشان ارتاح .

- ومش خايف من أهل الضحايا؟!
- أنا عارف انهم حيقتلوني لو شافوني بس أنا أعمل إيه؟!
- والجلابية الملوثة بدماء الضحايا وديتها فين؟!
- مفيش دم ولا حاجة!
- تقول إيه لأهل البلد؟
- والله ما أنا عارف أقول حاجة..
- أنت خططت لارتكاب الجريمة دي؟!
- أبدا.. جت كده لوحدها بالصدفة..
- وأثناء ارتكاب المذبحة كنت حاسس بإيه؟!
- ولا حاجة غير ان أقتل أي حد أشوفه!
- أنت بتعاني من أي مرض نفسي؟!
- أيوه.. من سنة وأنا تعبان وأبويا ودانـي عند كاتره نفسيين وبيعالجوني.
- نفسك في إيه؟
- دلوقتي نفسي أتعدم.. وقبل كده كان نفسي أتجوز بنت حلوه!

وكانت نفس الصحيفة الثبورة (أخبار الحوادث) قد أجرت حواراً مُهمًا للغاية مع الطبيب النفسي المُعالج لمحمد، نورده كما هو لأهميته القُصوى: في مفاجأة وصفها محرر أخبار الحوادث بأنها مدوية فجرها الدكتور نصر إبراهيم استشاري الطب النفسي وهو الطبيب المعالج

للمتهم محمد . . أكد الطبيب أن المتهم من خلال دراسته لحالته لا يمكن أن يكون قد ارتكب المذبحة وحده!اختص الدكتور (أخبار الحوادث) بكل ما يحمله من مفاجآت، (مع التأكيد على أن ما أثاره الطبيب واختص به هو نفس ما أقر به في تحقيقات النيابة).

داخل عيادته الخاصة بمدينة بني مزار . . . . ما تشخيصك الطبي لحالة المتهم محمد علي؟!

- محمد مريض عقلي مزمن تشخيصه "فصام عقلي" بمعني أوضح تفسخ القوي العقلية للمريض بما فيها التفكير والمشاعر والإرادة والتصرفات . . يكون خلالها المريض فاقداً للبصيرة أي لا يدري أنه مريض ولا يحتاج للعلاج.
- وما أخطار هذا المرض؟!
- أخطاره تكمن في أنك تتوقع منه أي شيء يؤذي نفسه أو يؤذي الآخرين.
- هل تعتقد أن محمد يمكن أن يرتكب هذه المذبحة وحده وبهذه السهولة؟!
- صعب جدا أن يحدث هذا . . فالتنظيم الذي وقعت به الجريمة يؤكد على صعوبة أن يكون منفذها شخصا واحدا . . لأن هذا التنفيذ يحتاج إلى دقة وإحكام.
- هل سئلت في التحقيقات؟!

- نعم استدعتني النيابة العامة وسألتني عن تقييمي الطبي لحالة محمد ومدي خطورتها وما يمكن أن يرتكبه . . فأكدت في شهادتي أمام النيابة أنه يستحيل أن يكون محمد هو مرتكب هذه المذبحة وحده، فالجريمة البشعة التي وقعت كما قلت لا يمكن أن ينفذها شخص واحد مهما كانت الظروف .
- تعتقد أن تفكير محمد غير منظم؟!
- المريض العقلي ذكي وليس غبيًا . . فالذكاء عنده لا يتأثر بالمرض لكن الذكاء وحده لا يكون عاملا أساسيا ليدفع شخصا لارتكاب مثل هذه المذبحة وحده!
- منذ متي يعالج محمد عندك؟
- من شهر فبراير 2005م ونصحت أسرته برعايته وتكون تصرفاته تحت رقابتهم دائما . . وأوصيتهم بضرورة أن يتناول العلاج الذي قررته له بصفة دائمة . . فهذا العلاج وظيفته التخفيف من حدة المرض وتهدئته .
- وهل هناك عوارض أخري لهذا المرض؟
- نعم . . فهذا المريض العقلي يكون عنده دائما ضلالات تفكير . . أي يكون مقتنعا أنه شخص مكروه من الآخرين فممكن أن يقوم المريض بعمل عدواني ضد من يظن أنه على خلاف معه . . أو يكرهه . . أيضًا يمكن أن يعاني المريض من هلاوس سمعية أي أنه يمكن أن يسمع أصواتا تتكلم عنه أو تسيء إليه .
- ومرض محمد متى أصابه؟

- مرض الفصام عموما دائما يصيب المريض به في بداية العشرينيات . . ومحمد عمره حوالي 26 سنة الآن . . فممكن أن يكون أصيب به من سنة أو أكثر . . والشفاء منه صعب . . العلاج يخفف منه لكن لابد من خضوعه لإشراف طبي دائم .

السؤال الآن؟ ! لماذا عدم التصديق عند معظم الناس؟ وهل صدّق الناس ـ زمان ـ أن امرأتين (ريّا وسكينة) تفعلان ما فعلتاه؟ ! . . . لنتأمل سويًا ذلك الوصف الرائع لصلاح عيسى (ولو أن أحدًا من هؤلاء، أو أولئك قد قام بواجبه، لتخلقت أمامنا صورة حية، لابنتيّ "على همام" منذ كانت كل منهما نطفة، ثم مضغة، ثم علقه، ثم اكتست عظامًا ولحمًا، ثم خرجت إلى الوجود طفلة بلا ملامح أو ذاكرة، تبكي وتضحك، وتلهو، وتخاف من الظلمة، تلقم ثدي الأم وتلوذ بأحضانها، وتحبو في باحة الداربين صغار الدجاج والأوز، وتكتشف الحياة من حولها بمرح ودهشة، وتتعثر على لسانها الكلمات). ويستطرد صلاح عيسى التتابع التاريخي الاجتماعي قائلاً: (وما تكاد تدرك الدنيا من حولها حتى تنتهي طفولتها فجأة فتستيقظ عند الفجر، لتشعل الفرن، وتكنس الدار، وتحلب المواشي، وتقدم الطعام للدجاج والبط، وتسحب الجاموسة إلى الحقل، وتستحثها على إدارة الساقية وتعود عند الظهر لتحمل الطعام إلى أبيها، فإذا ما جاء الغروب سرحت وراء المواشي، تتلقى روثها

بين كفيها . لتعجنه بشيء من التبن وبكسر من الحطب ثم تنشره في الشمس ليجف فيصبح وقوداً . إلى أن يأتيها "عدلها" فتخضب كفيها وقدميها بالحناء . وتبيض وجهها بشيء من دقيق القمح ، وتكحل عينيها وتصيغ شفتيها . وتغني لها الصبايا في ليلة الحنة ، ثم تشيعها الزغاريد في ليلة الدخلة ، إلى بيت زوجها ، ومعها صندوق أحمر ، تضع فيه ـ ككل عروس ـ حاجياتها ، فإذا ما فتحت عينيها في "يوم الصباحية" عادت لتدور ـ كالنحلة ـ طول اليوم ، وطوال السنة ، وطوال الدهر . لا يقعدها برد أو مرض أو ألم) .

إن غرابة حادث بني مزار وترتيبه جاء جديداً على المجتمع المصري ، لكننا نسينا تغيرنا وتبدلنا وتطورنا عبر السنوات ، ومن هنا فربما كان (النشوء والارتقاء) في نوعية الحدث .

**ثانيًا** : عدم ثقة الناس في الحكومة في أي أمر (ولهم أسبابهم) وإيمانهم العميق بأنها تسعي دائمًا إلى التلفيق (وهنا تظهر كوكبة من المشككين والمتشككين في أي شيء وكل شيء) .

**ثالثًا** : فكرة القصاص ، فإذا كان الجاني فصاميًا فلسوف يودع المستشفي للعلاج مدي الحياة ، بمعنى أنه لن يُعدم ، وبالتالي فلن يشفي غليل أحد ، وستظل المرارة في الحلق ، والرغبة المشتعلة في الثأر قائمة .

**رابعًا**: الخوف من بكره، من احتمالات تكرار ما حدث أو توقعه في أي مكان.

**خامسًا**: عدم التصديق من باب الإنكار (معقولة.. ده يحصل لنا وعندنا؟!).

**سادسًا**: عدم فهم معني مرض الفصام العقلي (الشيزوفرينيا)، والوقوع في فخ الخطأ والإصرار في كل أجهزة الإعلام على أن الرجل ذا (شخصيتين) (انفصام في الشخصية) البعيد تمامًا عن (الشيزوفرينيا **SCHIZOPHRENIA**) المصطلح الذي ابتدعه بلويلر 1911م حيث أن **SCHIZO** تعني التشقق والتصدع، الانغلاق أو الانفصام، و**PHRENIA** تعني العقل أو الذهنية (وليس الشخصية)، ويشمل الاضطرابات التفكك بين عمليات العقل والعمليات الوجدانية حيث ينفرط عقد نظامها إلى حَدّ كبير، ومن ثمً يحدث التفكك التنظيمي في بنية الإنسان (سلوكه، تفكيره، وجدانه، ونفسه)، ومن هنا يمكن تفسير (الخلل) ومن أعراضه الهلوسات والضلالات (المعتقدات الراسخة الخاطئة التي لا تقبل الشك من صاحبها والتي هي بمعزل تمامًا عن الواقع ولا يمكن تفسيرها في إطاره)، وكأن المتهم الجاني كان سعيداً لدي عودته إلى بيته بعد القيام بمهمته المزدوجة كمنتقم من الحياة

والأحياء أيًا كانوا، وكخالق لحالة الموت، فيبدو وكأنه الأسطوري الذي تخلص من عشرة بضربات الساطور وذبحًا بالسكين ثم قطعًا وتخريبًا لأعضائهم التناسلية، ثم (احتفلت) به أجهزة الإعلام، وتوجيه على عرش الأخبار الأخرى فجأة، فصار حديث المدينة.

**سابعًا**: الجهل بأنواع القتل، أو عدم القدرة على التمييز بينها، فهناك فرق واضح بين (قاتل ذكرى المنتحر) في دراما الزمالك الشهيرة السريعة، وبين السارق الذي يكتشف أمره فيطعن مرة واحدة بالمطواة في سويداء القلب ويهرب، وبين المستفز الغاضب لمن ضايقه، كسر عليه، سبّه بأمه فنال منه في رقبته مثلاً أو هشم رأسه فأراداه قتيلاً، وهناك قاتل الثأر والشرف، ولا ننسي أن عنابر المذنبين في مستشفيات الأمراض العقلية مليئة بالقتلة.

السؤال الذي يسأله الناس الآن! كيف برجل هادئ لا تبدو عليه علامات الخبل أو الإجرام أن يأتي بفعلة دموية كهذه؟! إنها في المذنبين في مستشفيات الأمراض العقلية مليئة بالقتلة السؤال الخبل أو الإجرام أن يأتي بفعلة دموية كهذه؟! إنها في تفسيرها العلمي مزج بين (العملية الفصامية) و(غضبه المكتوم)، بجانب أن معظم تلك الحالات يكون فيها القاتل (منقوعًا) محقونًا محتقنًا بالكراهية ومربوط من (ساسه لراسه) بحبل مليء بالعقد المتوترة والقلقة، ومع هذا فإن غالبية مرضي

الفصام ليسوا عنيفين، إنها تلك الروح غير المستقرة، الإحساس العام بالتصدع القادم، الرهبة من زلزال النفس وعنفها، ترقب لحظة الانهيار الكامل، ثم الراحة الصافية المنشودة، التوق إلى الانعتاق من عالمه الجواني الجهنمي. هنا لابد وأن نفهم تلك الرغبات الدفينة المحمومة لقتل الآخر (وغير المرتبطة إطلاقًا بأي منظومة ضلالات)، وأحيانًا ما تكون مصحوبة ببعض الاستبصار، وكأنه هجوم (الجنون) لا هجوم (المجنون) على الأبرياء وهم في سباتهم العميق، وعلي الرغم من ضرورة التفرقة بين (القاتل المجرم) و(القاتل الفصامي)، فلابد وأن ندرك أن الفصامي ليس معصومًا من انفعالات الغضب والغيرة والثأر والشرف، والأخرى التي تدفع إلى القتل.

غالبًا ما يقتل الفصامي أهله وعشيرته وأبناء قريته، في حين أن القاتل المكتئب يقتل أولاده.

أخيراً فإن المنظومة الجنسية للفصامي ـ بشكل عام ـ مضطربة، وتبين احدي الدراسات المهمة أن 27٪ من الفصاميين يعانون من ضلالات وهلاوس جنسية بل أن بعضها ينحصر فيما يسمي بالضلالات والهلاوس التناسلية GENITAL HALLUCINTIONS & DELUSION.

وفي عودة متقاطعة إلى ريّا وسكينة كان هذا الوصف البديع في كتابه

العميق[14] ـ (ولو أن أحداً من دارسي موجات الهجرة الداخلية، كان قد اهتم ـ قبل ذاك أو آنذاك ـ بـ "تغريبة بني همام" لعرفنا متي . . ولماذا غادرت "ريا" وسكينة" مسقط رأسيهما في "الكلح" في أقصي الجنوب بالقرب من "أسوان"، حيث الفقر والجدب والوباء ونقص القوت ـ ولتتبعنا خط سيرهما الطويل، بين القري والعزب والكفور، والمدن الصغيرة المتناثرة على شاطئ النيل، تحليان ضرع الأيام.

وتبحثان عن لقمة تدفعان بها غائلة الجوع أو لحظة راحة يستتيم فيها ظهر كل منهما لحشية ناعمة، تكف بعدها سلسلة ظهرها عن ذلك التضاغط المؤلم، إلى أن تحط بهما التغريبة ـ دون إرادة منهما ـ في "الإسكندرية"، حيث البحر والنسيم وأضواء الكهرباء والشوارع الواسعة النظيفة، والخبز الطري، والطعمية الساخنة وعلب "البولوبيف" و"السردين" و"الحلاوة الطحينية"، وجحافل الأجانب من الإنجليز والفرنسيين والإيطاليين واليونانيين.

فلا يزيد نصيبهما من المدينة الجميلة عن المقدر لهما منذ الأزل: حجرات مظلمة ضيقة في حوار وأزقة أكثر ضيقًا، تتلوى على نفسها كالثعابين، وتفرح منها نسائم الفقر وروائح العفونة تضيئها مصابيح من الصفيح الصدئ تشعل بالنفط. وينزوي في ركن كل منها "زير"

(14) صلاح عيسى ـ رجال ريّا وسكينة ـ دار الأحمدي للنشر ـ القاهرة ـ 2002م.

من الفخار يملأه السقاء بقربة ماء كل يومين أو ثلاثة. وتحتشد بآلاف من الجنوبيين من أمثالهما. قذفت بهم يد الله في التجربة، وحملتهم التغريبة من قري الصعيد المعلقة في بطن الجبل، أو جزائره المتناثرة في قلب النيل، إلى الإسكندرية، هربًا من ثأر أو فرارًا من جوع، أو أملاً في الاستمتاع بشيء من لين الحياة.. فتاهتا في المدينة الواسعة، وطاردتها التغريبة في أزقتها الطينية الضيقة، واضطربتا طول سبع سنوات مريرة. بين "المسكوبيه" و"سوق الجمعة" و"زاوية العطش" وحين يحط بهما الرحال ـ أخيرًا ـ في "حارة النجاة" تجدان المقدر والمكتوب في انتظارهما. وينفجر اسماها ـ كالقنبلة ـ في سماوات الوطن. وتقودهما صدفة تعيسة إلى حبل المشنقة. وينتهي الحلم بلين الحياة. إلى موت بلالين.

أما الناشر المجهول، الذي استغل اهتمام الناس الفائق عن الحد. بمعرفة صورتيهما. فطبع عشرات الآلاف منها.

تخاطفها الناس في أيام قليلة. وربح من توزيعها مئات الجنيهات. فقد اكتفي بذكر اسم كل منهما تحت صورتها باللغتين العربية والإفرنجية، ولم يضف إلى ذلك شيئًا. ربما لكي لا يصادر على حق الناس في أن يتخيلوهما كما أردوا: مجرد وحوش هربت من الغابة، وظلت تعيث في الدنيا فساداً، إلى أن وقعت في المصيدة.

ومع أن الصحف[15] التي عاصرت بروز أسمي "ريا وسكينة" لم تقصر في إشباع فضول المصريين لمعرفة أبنائهما بل وخصصت كل منها زاوية يومية ثانية في مكان بارز لتلك الأبناء على امتداد شهرين كاملين، إلا أنها لم تقصر ـ كذلك ـ في نشر كثير من الوقائع المغلوطة أو الناقصة أو المختلفة. ذلك أن إحساسًا عميقًا بالعار، مما ارتكبته "ريا" و"سكينة" كان يغلل روايتها للوقائع، إذ بدا لها أنهما شاهدتان على نقص الرقي الاجتماعي للمصريين، وأن صدقها في رواية الوقائع ربما يستغل للتدليل على عدم كفاءتهم لحكم أنفسهم بأنفسهم، وكانت المناظرة بين الوطنيين المصريين المطالبين بإلغاء الحماية البريطانية على بلادهم، وبين غلاة المستعمرين تدور آنذاك، حول هذا الموضوع تحديداً.

وهكذا تواطأ الجميع بالصمت أو بالجهل أو بسبب الإحساس العميق بالعار، على تحويل "ريا" و"سكينة" إلى رمز أسطوري للشر. لا صلة له بدوافع ما فعلتاه، وأغمضوا عيونهم عن كل ما عدا ذلك، فقد كانوا في حاجة إلى رمز للشيطان فوجدوه، وإلى صورة تجسد الشر المطلق الطليق فطبعوا عشرات الآلاف من صورتيهما وأخذوا يتبادلونها وينسجون حولهما قصصًا وأساطير مرعبة، جعلتهما في النهاية، قرينتين لتلك الشخصيات المرعبة، التي طار

(15) صلاح عيسى ـ نفس المصدر السابق.

صيتها في زمانها وظل طائراً إلى أن أدرك زماننا، مثل أمنا الغولة "وفرانكشتين" و "دراكيولا".

وربما لهذه الأسباب كلها، دخلت الاثنان التاريخ، دون أسانيد ـ أو تفاصيل ـ كافية، فلا شجرة أسرة، ولا شهادة ميلاد، ولا تاريخ اجتماعيًا، ولا تقرير من قصاص أثر، حول ما فعلتا أثناء التغريبة أو ما فعلت بهما التغريبة، فاستباحهما الجميع، واتخذوا منهما رمزاً لما يريدون، وليس لما كانا يرمزان إليه بالفعل: الآباء الذين يريدون تخويف أبنائهم من النوم دون غسيل الأسنان، والأمهات اللواتي تردن إخافة بناتهم من شر الكك، ومؤلفي الأفلام السينمائية والمسرحيات الهزلية، الذين يربحون من وراء تسلية جمهورهم بشيء من مغامرات الشرطة في مطاردة المجرمين، أو من محاولة دغدغتهم بشيء من كوميديا الرعب، فيضحكون على أنفسهم وعلى الآخرين مع أن الذي يستحق الضحك منه، هو مؤلفي تلك الأفلام والمسرحيات[16].

لكن... تُرى هل يمكن محاسبة (المجنون) على جريمته؟! نعم! أحيانًا، حينما يكون ثابتًا ومؤكداً أنه في كامل وعيه أو بدافع محدد مثل السرقة أو الانتقام وليس تحت تأثير الضلالات أو الهلوسات. وبالطبع فإن إثبات كل هذا من عدمه مسألة شاقة جداً، وقد تكون "مستحيلة" تحتاج إلى "رصد اللحظة"، أو إلى منظار يري المخ في عملياته الذهنية الشاقة.

(16) صلاح عيسى ـ نفس المصدر السابق.

يحتاج الناس الذين عاشوا المأساة في بني مزار ولربما كان برنامج لعلاج جمعي لتوتر وكرب ما بعد الصدمة لازمًا، نحتاج إلى تحديداً دقيق لمسألة الخطورة والخطرين، الأمن والأمان فإذا كان الخفير في عزبة شمس الدين قد مات منذ سبع سنوات، فلماذا لم يعين غيره، فبصرف النظر عن أن صحبته (مين هناك) قادر على ردع فصامي عن القتل أم لا فهي كانت مريحة وباعثة لبعض الهدوء نحتاج إلى مسح للحالة العقلية في عموم مصر.

## التقرير النهائي:

**تحت عنوان التقرير النهائي**: المتهم بارتكاب مذبحة بني مزار سليم عقليًا[17]: أكدت التقارير الطبية التي أعدتها اللجنة المشكلة من كبار أساتذة الطب النفسي، عدم إصابة محمد على عبد اللطيف المتهم بارتكاب مذبحة بني مزار بالمنيا، وقتل عشرة أفراد من ثلاث عائلات مختلفة أوائل يناير الماضي بأي مرض عقلي.

وكانت اللجنة التي قامت بالكشف على المتهم قد انتهت إلى أنه تأكد طوال فترة الملاحظة ثبوت عدم إصابته بمرض عقلي.

إشارات مصادر بالنيابة العامة، إلى أن اللجنة الطبية أوضحت أن المتهم، مهتم بمظهره العام ونظافته الشخصية ومتعاون يجيب عن

(17) عبد الناصر الزهيري ووكالات الأنباء (المصري اليوم) ـ الأول من مايو 2006م ـ الصفحة الأولى.

الأسئلة بصورة عادية وهادئ ولم تظهر عليه تصرفات تدل على وجود هلاوس سمعية أو بصرية أو تشوش فكري.

وذكرت اللجنة الطبية في تقريرها، أن تعرض المتهم لنوبات عصبية وهياج في بعض الأحوال، يرجع للاستثارة والانفعال العاطفي، خاصة عندما يتذكر أحوال والديه وأخواته ونتيجة إحساسه بالوحدة والغربة حيث تعتبر كل تلك الملاحظات طبيعية، يمكن حدوثها في مثل هذه الظروف.

ويبدو هذا التقرير مهمًا وواقعًا تحت تأثير الضغط الإعلامي المكثف، مما يسمي علميًا بالـ Halo Effect بمعنى أنه الذي يفحص (شخصًا ما) (مريضًا أو متهمًا) وتكون لدية فكرة مسبقة عنه وعن الحادث من أطراف آخرين يكون مهيئًا لاتخاذ قرار أو الميل إلى تشخيص معين ولم يوضح التقرير عما إذا كان المتهم قد خضع لعلاج دوائي أم لا أثناء فترة احتجازه مما قد يكون مؤثرًا على حالته العامة ونحن بالطبع لا نكذب التقرير ولكن نتساءل عن معنى (النوبات العصبية) وحالات (الهياج) في بعض الأحوال، وماذا عن التاريخ المرضى السابق وعلاجه لدى مستشفى بالقاهرة وأخصائي نفسي بالمنيا؟!

وإذا لم يكن هو القاتل فمن؟ وما هي مصلحة الأجهزة الأمنية في إلصاق التهمة به؟ وإذا كان هو القاتل (وحيدًا) فهل سيحاكم بتهمه

على ضوء انخفاض درجة المسئولية الجنائية لدية Diminished Responsibility وفي هذا الإطار وضمن كل التوقعات وحيث صارت القضية مادة صحفية شيقة، طلع علينا النائب طلعت السادات[18] بأنه قد تقدم بطلب إحاطة لوزير الشئون القانونية والبرلمانية، واللواء حبيب العادلي وزير الداخلية عن أسباب تسريح الحكومة في الإعلان عن أن مرتكب جريمة بنى مزار (مختل عقليًا) وتسأل طلعت السادات ماذا فعلت وزارة الداخلية بعد إطلاعها على التقرير الطبي (الذي أثبت سلامة قواه العقلية وما مدى ارتباط جريمة بنى مزار بالتشكيل العصابي المقبوض عليه أثناء التنقيب عن آثار بقرية بيلا المجاورة لقرية عزبة شمس الدين) التي تمت فيها المذبحة (وهو بالفعل سؤال مهم للغاية يستحق النظر فيه ويستحق الإجابة علية علنًا وفي كل الصحف ووسائل الإعلام) ثم يتسأل طلعت السادات عن (؟) حقيقة سفر الأعضاء البشرية التي قيل أنها أخذت من جثث المجني عليهم إلى إسرائيل (وأعتقد أن مسالة السفر، وإقحام إسرائيل في الموضوع) طريفة في موضوع مؤلم ومحير، والنائب طلعت السادات معروف بقفشاته فهو الذي طلع علينا في برنامج (القاهرة اليوم ـ قناة الأوربت) باقتراح أن يذهب جنود الأمن المركزي إلى الحدود ليمسكوا

(18) حسام صدقة ـ المصري اليوم ـ 11مايو 2006م.

أو (يعكشوا) على حَدّ قوله الطيور المهاجرة الناقلة لفيروس الأنفلونزا (. . . .).

من ناحية أخرى طالب مركز النديم[19] بإعادة التحقيق في مذبحة بني مزار، وادعى أن المتهم تعرض للتعذيب. . وقضي 4 أشهر بمستشفى العباسية مقيد اليدين، وأن الدافع للجريمة سرقة الآثار و "فتح الكنز" . . وأن العصابة لا تزال مطلقة السراح. . . طالب المركز (وهو للعلاج والتأهيل النفسي لضحايا العنف) بإعادة فتح التحقيق في مذبحة بني مزار بواسطة قاضي تحقيق محايد يضمن عدالة ونزاهة عملية التحقيق على أن تشتمل التحقيقات على وقائع جريمة التعذيب التي تعرض لها المتهم محمد علي عبد اللطيف المحبوس على ذمة القضية(حسب قول المركز)، وطالب أن يستدعي في تلك الجريمة الأخيرة جميع من تورطوا فيها. بما في ذلك كبار لواءات الداخلية ومساعد الوزير سواء من قاموا بتلك الجريمة أو من أمروا بها أو من سكتوا عنها (ولم يقدم دليلاً يستند علية في تلك الادعاءات).

وشدد المركز في تقرير له على ضرورة فتح القضية من جديد ومناقشتها بهدوء، بناءً على ما توفر من معلومات جديدة، خاصة بعد صدور تقرير الطب الشرعي رقم 1387/ 2006م وتقرير المعمل

(19) المصري اليوم ـ الخامس من مايو 2006م.

الجنائي وتقرير شرطة الإنقاذ النهري، وأخيراً بعد صدور قرار اللجنة الطبيبة النفسية.

وشكك تقرير مركز النديم في رواية وزارة الداخلية في القضية وما أعلنته للرأي العام، وقال: إن الداخلية أعلنت القبض على محمد بعد 4 أيام من الحادث، وادعت أنه ضبط أثناء محاولته الهرب، بينما تبين من عدة مصادر أنه قد تم القبض على محمد وأسرته بعد ساعات من ارتكاب تلك الجريمة، مشيراً إلى أنه التكتم على الخبر لحين الحصول على اعتراف محمد بالجريمة أو الموافقة على "شيل" القضية على حد تعبير مساعد وزير الداخلية لوالد محمد.

## وأضاف التقرير:

تم القبض على محمد بعد أن تطوع شخص يدعي عصام بتبليغ الأمن أن محمد سبق علاجه من مرض نفسي، وكان أن قام الأمن باحتجاز محمد في بيت عصام لعدة ساعات، حيث تم التعدي عليه بالضرب المبرح على مرأى ومسمع إيداعه حجز قسم الشرطة.

وواصل التقرير رغم إدعاء الداخلية بأن أخته قد غسلت ملابسه من أثار الدماء وجدت على "جلباب" محمد، وأنها مطابقة للبصمة الوراثية لإحدى الضحايا.

وزاد أن الداخلية ذكرت في البداية أن الأدلة الجنائية "بلطة وساطور" وقد تم إلقاؤهما في الترعة، ولكن جاء تقرير شرطة الإنقاذ النهري أنه بالبحث عن الأداة في الترعة الإبراهيمية على مسافة 700 متر طولاً و20 مترًا بعرض الترعة و3 أمتار بعمقها، وكذلك بالبحث في المصرف المقابل والمؤدي لمنزل الجاني لم يسفر البحث عن شيء.

وشدد التقرير أن الأدلة الجنائية ظلت تحت يد الشرطة قبل وصول النيابة وتساءل: هل هناك احتمال أن الشرطة قد عبثت بالأدلة الجنائية، (ونحن بدورنا نتسأل هل هذا ممكن ولماذا؟)

وهل هذا سبب تضارب التصريحات حولها؟

سواء ذلك التصريح الخاص بالجلباب أو بأدوات الجريمة وهل ذبح 10 أشخاص بضرب على الرأس والرقبة لا يحدث أكثر من بقعة من الدماء على جلباب وفردة حذاء؟ كما تساءل هل تظل البصمات بعد الغسيل؟ وهل من تسلق الحوائط لم يترك أية بصمات على الجدران أو على جثث الضحايا أثناء التمثيل بجثثهم؟

وقال التقرير نفترض أن الجاني كان يرتدي قفازًا لو كان الأمر كذلك لما وجدت بصمات على الساطور وإن يكن فالمنطقي أن توجد بصمات على كل الحوائط والنوافذ والجثث مثلها مثل أدوات الجريمة التي ادعت الداخلية أنها حملت بصمات المتهم بعد ادعائها بأنها ألقيت في الترعة.

وأكد التقرير أن تقرير الطب الشرعي أوضح إن جثث الضحايا قد ذبحت جميعًا في نفس الوقت تقريبًا الساعة الثالثة فجرًا، وأن الضحايا العشر بهم إصابات حيوية بالرأس والرقبة وهناك تشابه شديد بين شكل تلك الإصابات وأن إصابات جدار البطن والأعضاء التناسلية قد تمت بعد الوفاة، وكذلك قطع الأصابع في بعض الجثث.

وجدد التقرير التساؤل مرة أخري إذا كان الجاني قد قطع الأصابع الثلاثة الوسطي مع العضو التناسلي وأن الشرطة لم تجد منازل الضحايا فلم أخذ الجاني الأصابع ولماذا لم يدل الجاني على مكانها برغم اعترافه بارتكاب الجريمة؟ وزاد كم من الوقت يستغرق تسلق الجدران ودخول الشقة والصعود لحجرات النوم وذبح الضحايا بساطور، دون أن يصرخ إنسان واحد من شدة الضربة لينتبه من معه بنفس الغرفة ويحاول المقاومة، وبعد قتل من 3 إلى 4 أفراد يبدأ بتشريح جثثهم بأداة حادة وبمهارة ودقة شديدتين، حيث إن جميع الجثث بها جروح قطعية تبدأ من منطقة البطن حتى الأعضاء التناسلية. دون إحداث جروح بالأعضاء الداخلية، ثم بعد ذلك قطع الأعضاء التناسلية أو بتر قطع إحدى اليدين ثم الانتقال للمنزل المجاور. وتسلق جداره بمهارة حتى لا يستيقظ من بالدار واستكمال نفس السيناريو في 3 بيوت وعشر ضحايا؟ وتساءل: كم من الوقت يحتاجه شخص واحد لارتكاب الجريمة وأي درجة من الذكاء والمهارة

يجب أن تتوفر لديه؟ وهل تنطبق هذه الأوصاف على شخص كمحمد أثبت التقرير النفسي أنه محدود الذكاء. وانتهي التقرير إلى أن هذه التساؤلات تثير شبهة أن الدافع للجريمة كان سرقة الآثار "فتح الكنز" بلغة أهل الصعيد. لافتا إلى أن من يقف وراءها عصابة عالية التنظيم تشتمل على عدد من الأشخاص مازالوا مطلق السراح يتعارض هذا التصور مع تقارير أخرى.

وأكد التقرير أن الملابسات في هذه القضية من الكثيرة إلى درجة أنه لا يمكن أن يطمئن لها ضمير إنسان، خاصة أن العقوبة ستكون الإعدام شنقًا، نعتقد من جانبنا أن الحيرة والغموض قد شملتا الموضوع من كل جوانبه وزادا تاه تعقيداً إلى درجة غريبة!! وبين التصور الأول بأن الفاعل (فصامي، أو محدود الذكاء انتابته نوبة جنون) وبين المعطيات الأخرى من أن قتل العشرة ضحايا كله تم بطريقة واحدة وبآلة واحدة، بجانب أقوال الشهود واعتراف أهل القرية بسابقة للمتهم في محاولة الاعتداء على سيدة من القرية مما أشرنا إليه سابقًا.